

أسباب تأخر الزواج في المجتمع الجزائري

أسماء بن تركي

المركز الجامعي الوادي

يعتبر التكامل الاجتماعي لأي مجتمع دعامة من دعائم سعادته واستقراره، وركيزة من ركائز نموه وازدهاره. إذ يعد الزواج خاصية من خصائص العنصر البشري لأي مجتمع فهو التعبير عن العلاقة الإنسانية الخاصة التي تنشأ الأسرة بنشأتها... وهو تعبير رائع يكشف عن علاقة فريدة بين "ذاتين"¹، إذ يمثل الزواج واحد من أقدم التنظيمات الاجتماعية فهو قديم قدم الإنسان، إذ يُعد إحدى الحاجات الجسدية والنفسية والفطرية التي أوجدها الخالق في الجنس البشري.

فبمقتضى الزواج يكون الارتباط بين الرجل والمرأة، والذي يفيد إباحة العلاقة الجنسية بينهما على الوجه المشروع، ويجعل منهما أساساً لبناء أسرة يتعاون فيها الزوجين معاً على تربية أفرادها وتنشئتهم، فالزواج هو كل علاقة شرعية بين الذكر والأنثى لقوله تعالى: ﴿بَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾².

فالزواج متطلب من متطلبات الحياة البشرية لضمان الاستمرار وبقاء النوع الإنساني وتأسيسها في إطار شرعي واجتماعي وقانوني، حسب شروط ومعايير معينة تكسب الفرد راحة نفسية واجتماعية إذ يقول عز وجل ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِصْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾³، فللزواج كما ذكر الإمام أبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين خمسة فوائد: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجابهة النفس بالقيام بهن⁴.

ولأننا أصبحنا نعيش اليوم عسراً تطور فيه التعليم وتطورت معه متطلبات الحياة... وظروفها فأصبح الشاب يقضي ثلثي عمره في طلب التعليم وتحقيق طموحاته، وكذلك بالنسبة للفتاة فهي أكثر تطلعا لمواكبة النهضة التعليمية في بلادنا وثورة الاتصالات والانترنت وأساليب الحضارة المختلفة ودخول القرن الحادي والعشرين وما واكبه من سرعة في المكنشفات وتطور البيئة وريادة الإعلام... فهذا جميعه أثر في حياة الشباب بنوعيه، كما لا يمكن أن نتجاهل ما للإعلام أيضا من دور كبير في تخويفهم من ضرورة تكوين أنفسهم وتأهيلهم للزواج في ظل تعقد الحياة العملية والوظيفية... وقلة الموارد والإمكانات والفرص الوظيفية أمام الشباب

والشابات... دون الاعتقاد بأن الإعلام وحده هو المسؤول عن ذلك بل كامل المجتمع بمؤسساته فظهور هذا التوجه لدى الشباب والشابات أخذ يطفو على السطح منذ أكثر من عشرين عاماً نتيجة العديد من الظروف والمتغيرات الاجتماعية منها تعليم المرأة وخروجها لميدان العمل والكسب واستقلاليتها المالية عن الرجل وما نتج عن ذلك من إحساس بالذات والكينونة كذلك فإن التفوق الدراسي الواضح للمرأة في المجال العلمي خلق لديها إحساس فجر في داخلها طموحات كبيرة... فقد أخذت البنت اليوم تفكر في حياة أسرية تختلف عن تلك التي عاشتها أمها وجدتها⁵.

كل هذا وذاك ساهم في إيجاد هذه الإحصائيات المخيفة عن نسبة العنوسة في العالم العربي، ففي دول الخليج واليمن 35% ممن بلغن سن الزواج وتجاوزو عمر 35 سنة، أما في الأردن 5% ممن بلغن سنة الزواج وتجاوزوا عمر 35 سنة دون زواج وتقول الإحصائيات إن حوالي 71 ألف فتاة تجاوزن سن الثلاثين و 85 ألف شاب تجاوز 30 سنة من عمرهم دون زواج، بينما نسبة العازقين عن الزواج في لبنان من الجنسين 90% ممن هم بين 25-30 عاماً بينما نسبة العنوسة في فلسطين 1% ممن بلغن سن الزواج وتجاوزوا عمر 35 سنة وأعلى نسبة عنوسة في العراق حيث بلغت 85% ممن بلغن سنة الزواج وتجاوزوا عمر 35 سنة، ويبلغ عدد العوانس في سورية 700 ألف امرأة وتقول الدراسات إن 50% من الشباب السوري أعزب و 60% من الفتيات السوريات عازيات، ويبلغ عدد العوانس في مصر 6.5 مليون ممن تجاوزت أعمارهن 35 عاماً، وجاء في الإحصائيات أيضاً أن ثلث سكان الجزائر عوانس وعزاب ممن بلغوا سن الزواج وتجاوزوه.

فظاهرة تأخر سن الزواج أو ما يعرف "بالعنوسة" لدى الشباب والبنات تمثل مشكلة كبيرة تعاني منها دول العالم بأكمله وخاصة لدى الدول العربية ولاسيما أن هؤلاء الشباب من الجنسين هم ركيزة المجتمع ومستقبله، واستقرارهم وتكيفهم في العمل والأسرة هو مطلب هام لمجتمعهم، لأنهم رمز العطاء والنشاط والعكس صحيح، وظاهرة العنوسة هي نتيجة تراكمات كثيرة نفسية واجتماعية واقتصادية كبيرة عانى منها وطننا والجنسين فأصبحت مشكلة تحتاج إلى حل بعدما تفاقمت وتزايد عددها على مر السنوات⁶.

ففي السنوات الأخيرة عرف المجتمع الجزائري وكغيره من مجتمعات العالم الكثير من التغيرات في كل أنظمته سواء السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الأسرية، هذه التغيرات وغيرها كان لها الأثر المباشر وغير المباشر على الشاب الجزائري في بنائه لحياته وخاصة إقدامه على الزواج الذي شهد تناقصا وتراجعا شديدا.

فبعدما كان يعرف المجتمع الجزائري بزيجاته المبكرة، وارتفاع نسبة المتزوجين وتراجع نسبة العزاب والعوانس، عرف في السنوات الأخيرة تأخرا ملحوظا في متوسط العمر عند الزواج الأول لدى كلا الجنسين، وارتفاع في نسبة التعزب بين الرجال وانتشار العنوسة بين النساء⁷.

إذ تشير إحصائيات الديوان الوطني للإحصاء إلى أنه بالرغم من ارتفاع المعدل الخام للزواج إلى 8.50% سنة 2005⁸. إلا أن هذه الزيادة تبقى ضعيفة مقارنة بنسبة العزاب.

والمتمسح للمسوح والتعدادات التي أجريت في الجزائر يلاحظ بوضوح ارتفاع نسبة العزوبة لدى كلا الجنسين كما يلاحظ أن نسبة النساء غير المتزوجات عرفت ارتفاعا ملحوظا في الفئات العمرية المتقدمة، بحيث انتقلت النسبة في الفئة العمرية 25-29 سنة من 34.8% سنة 1992 إلى 57.5% سنة 2002، أما بالنسبة للفئة العمرية 30-34 سنة فقد ارتفعت النسبة من 13.2% سنة 1992 إلى 33.7% سنة 2002.

وفي دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي أجراها طاهر شلوش عن التحولات الاجتماعية والإقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري (1967-1999) جاء فيها أن ظاهرة الزواج في الجزائر تتميز بالتأخر في الوسطى عند الزواج ولاسيما لدى النساء، حيث بلغ هذا التأخر 5 سنوات ما بين 1980 و1992، إذ انتقل من 20.8 سنة إلى 22.9 سنة، أما بالنسبة للرجال انتقل خلال نفس الفترة من 26.8 سنة إلى 30 سنة، وبذلك فالمعدل العام للزواج عرف تراجعاً خلال التسعينيات خاصة بعد سنة 1993، حيث انتقل من 5.97% في سنة 1990 إلى 5.60% سنة 1993 مع 5.38% سنة 1994، إلا أنه سجل استئناف طفيف بعد سنة 1995 بحيث بلغ على التوالي 5.45% سنة 1995 و 5.49% سنة 1996 و 5.42% سنة 1997.

وجاء أيضا في هذه الدراسة إن نسبة النساء العازبات اللواتي يتراوح سنهن ما بين 15 و 49 سنة إرتفع من 27.04% سنة 1977 إلى 38.87% سنة 1987 لتصل النسبة إلى 44.63% سنة 1992، من بين الفتيات الأكثر تأثرا هي الفئات العمرية (15-19) سنة و (20-24) سنة و (25-29) سنة والتي سجلت على التوالي: 94.6%، 70.4%، و 34.8% سنة 1992.⁹

هذا وكشفت أرقام الديوان الوطني للإحصائيات أن 51% من نساء الجزائر اللواتي بلغن سن الإنجاب يواجهن خطر العنوسة، وأن هناك 4 ملايين عانس تجاوزت أعمارهن سن الـ 35 سنة¹⁰.

فالجزائر اليوم تتوفر على 9 ملايين امرأة دون زواج و 3 ملايين منهن يتجاوز سنهن 30 سنة، و 12 ألف فتاة تدخل سنويا العنوسة بينما يحكم على 700 ألف فتاة أخرى بالتعيس مدى الحياة، فإنعكاسات هذه الظاهرة خطيرة على المجتمع وصحته كالاتحلال الخلقي وكثرة الإجهاض والفرار من المنازل وانتشار أوكار الدعارة التي خلفت أكثر من 35 ألف أم عازبة وما يفوق 3 آلاف طفل غير شرعي سنويا¹¹.

فالعزوف عن الزواج ظاهرة متزايدة في الجزائر، هذه الظاهرة التي تهدد مجتمعنا من الداخل، بتزايد نسبة العنوسة بين رجالنا ونساءنا ما هو إلا تنبيه إلى أن المكون الرئيس للمجتمع في خطر لأن تأخر سن الزواج أو العزوف عنه يعني تأخرا في بناء المجتمع أو توقفا عن البناء فيه وبالتالي انهياره وإن كان في قمة الرخاء الاقتصادي والاجتماعي.

وانطلاقاً من أن لكل نتيجة سبب أو أسباب عديدة في إيجادها نطرح السؤال التالي: ماهي الأسباب التي أدت إلى تزايد ظاهرة تأخر سن الزواج في الجزائر؟
وقبل الغوص والحديث عن أسباب تأخر سن الزواج بين الشباب نحدد ما المقصود بكل مصطلح من هذه المصطلحات (السن، سن الزواج، تأخر سن الزواج، العزوبة).

السن:

السن هو المدة التي انقضت منذ ميلاد أي فرد من الأفراد إلى غاية الموت، وتسمى العمر الزمني ومن خلاله تنقسم الحياة الإنسانية إلى مراحل وفقا لنمو الأفراد، وهذه المراحل هي مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب ومرحلة الرجولة ومرحلة الشيخوخة¹².

سن الزواج:

سن الزواج هو السن الذي يسمح فيه للرجل والمرأة بالزواج، في الجزائر إذ مر سن الزواج بعدة مراحل وعدة تغيرات كان آخرها التي صادق عليها القانون الجزائري سنة 1984 على أن يكون 18 سنة للفتاة و21 سنة للفتى وهذا بعدما كان 15 سنة عام 1930 لكلا الجنسين، ثم انتقل إلى 15 سنة بالنسبة للمرأة و18 سنة بالنسبة للرجل سنة 1959، أما في سنة 1963 فقد حدد القانون سن الزواج بـ 16 سنة للمرأة و18 سنة للرجل.

تأخر سن الزواج:

التأخر يعني في اللغة عكس التقدم، وتأخر الزواج يعني هنا ارتفاع سن الزواج حيث يقدر متوسط سن الزواج حاليا بـ 32.5 للمرأة و35.5 للرجل، ومما لا شك فيه فان هذا التأخر الذي شهده المجتمع الجزائري يعود إلى عدة عوامل منها اقتصادية ومنها اجتماعية ومنها ثقافية وكذا هناك عامل آخر وهو عامل الاختيار الزواجي، فنجد كلا من الرجل والمرأة لهما نظرة جديدة في اختيار الشريك وذلك لأسباب عديدة، فمثلا في يومنا هذا نجد الكثير من النساء لا يرضون بأزواج لا يملكون مساكن وسيارة... الخ وهذا الاختيار ساهم في عزوبة الرجل وعنوسة المرأة، ونحن نعلم أن المرأة في مجتمعنا عندما تتجاوز سنا معيناً تصبح غير مرغوب فيها كزوجة.

فمفهوم تأخر سن الزواج، يعني في مضمونه تجاوز السن المحددة والملائمة للزواج التي يفرضها المجتمع، ويراها ملائمة وكل من تجاوز هذه السن يعتبر متأخرا عن الزواج¹³.

العزوبة:

العزوبة تطلق على كل شخص غير متزوج، والذي لا تربطه أي روابط زواج مع شخص آخر سواء ذكرا أو أنثى، ويعرفها "ميشيل بلونك على أنها "بعد ذاتها وضعية اجتماعية قانونية تخص الأشخاص الذين ليس لهم روابط زواجية"¹⁴، ومن الممكن تقسيم الشباب قبل الزواج إلى الشرائح التالية:

1- شباب غير قادر على الزواج: ولا تلوح في الأفق قدرته عليه بسبب الضعف الشديد في الإمكانيات المادية وعدم وجود شقة للزوجية من جهة والبطالة من جهة أخرى. ونسبة هؤلاء من مجموع الشباب: 70% ذكور و20% إناث.

2- شباب قادر على الزواج: لكنه يؤجل لفترات طويلة اتخاذ هذا القرار بهدف الاستمتاع بالحياة على حسب تقديره هو. ونسبة هؤلاء 20% ذكور - 1/2% بنات.

3- شباب قادر على الزواج: لكنه يؤجل من أجل بناء المستقبل العلمي والمادي. ونسبة هؤلاء 10% ذكور - 5% بنات.

4- شباب قادر ويتمنى الزواج السريع: لكنه لم يوفق لمدة طويلة في إيجاد الزوجة المناسبة أو الزوج المناسب ونسبة هؤلاء: 40% ذكور - 70% بنات.

5- مبالغة الأهل في متطلبات الزواج من شبكة ومهور وخلافه. ونسبة هؤلاء: 10% ذكور - 50% بنات.

من واقع هذه الإحصائيات السابقة، يتبين أن متوسط سن الزواج سيكون في ارتفاع مستمر بينما كان بمقارنة مع السنوات القليلة الفارطة أقل بكثير؛ هذا الأمر صار يمثل ضغطاً نفسياً شديداً خاصة على أمهات وآباء البنات، وصار يمثل عاملاً من عوامل الإحباط بالنسبة لكثير من الشباب، وبالتالي يمكن أن يكون ذلك سبباً في إنتشار المزيد من المشاكل داخل المجتمع في السنوات القادمة.¹⁵

ففي دراسة ميدانية بعنوان " ظاهرة العنوسة في الجزائر " من إعداد آمال بن عيسى بجامعة البليدة الجزائر في أكتوبر 2008، تبين من خلالها أن للظروف المعيشية التي يعيشها الشاب الجزائري دخل في انتشار الظاهرة، فبطالة الشاب وصعوبة الحصول على المسكن وارتفاع تكاليف الزواج في ظل غلاء المعيشة شكلت أهم العوامل السوسيواقتصادية التي تقف أمام إقبال الشاب على الزواج، وخاصة أن أسلوب الحياة قد تغير كثيرا مقارنة بالسنوات السابقة، بحيث أصبح له مقتضياته ومستلزماته وعدم توفرها قد تنعكس بالسلب على حياة الشاب وتحقيق ذلك قد يتطلب من الشاب سنوات عديدة من عمره خاصة إذا بدأ بالتخرج من الجامعة ثم أداء الخدمة الوطنية، ثم البحث عن عمل مستقر يضمن له أجرا مناسباً لتحقيق أهدافه وطموحاته، ووصولاً إلى البحث عن السكن المستقل (شراءه، بناءه، أو كرائه) ليصل بذلك إلى الثلاثينات من عمره دون زواج، وعندما يتهيأ هذا الشاب ماديا للزواج فانه في أغلب الأحيان لا يتجه في اختياره لشريكة حياته نحو من تماثله في السن بل الأصغر منه، لتقل بذلك حظوظ مماثلته في السن ويتسبب في عنوسة البعض منهم.

كما شهدت المرأة تغيرات هامة من حيث المكانة والدور، بحيث أصبحت تسعى إلى إثبات ذاتها في المجتمع من خلال التعليم والعمل أولاً ثم الزواج، وارتفاع مستواها التعليمي واستقلالها المادي غير من نظرتها نحو بعض السلوكيات الاجتماعية وفي مقدمتها الزواج، بحيث تراجع هذا الأخير في سلم أولوياتها لحساب الدراسة والعمل، وهذا ما أدى حسب هذه الدراسة إلى تأخر سن زواجها وتسبب الطموح العلمي المتزايد لها في عنوستها وإقبال المرأة على التعليم والعمل لقي تشجيعاً من طرف الأسرة وخاصة الأم التي أصبحت ترى بضرورة مواصلة البنت تعليمها الجامعي لتتحصل بذلك على السلاح الذي يحميها من تقلبات الحياة.

وقد انعكس الطموح المتزايد والاستقلال المادي بالسلب على بعض النساء بحيث تسبب في عنوستهن، وقد تسبب العنوسة في ظل التغير الاجتماعي وغياب الوازع الديني في انحراف بعض النساء واتجاههم في سبل الظفر بالزوج إلى طرق تتنافى مع قيم ومبادئ المجتمع كما ساهم النفتاح على الثقافات التي لا تمت لعاداتنا وقيمنا بصلة إلى تشبع بعض الأفراد بمفاهيم لا تشجع على الزواج بل تدعوا في مجملها إلى الحرية والفردانية، وتحقق الذات بعيداً عن مؤسسة الزواج، أما إشباع الغريزة الجنسية فقد وفر المجتمع العديد من القنوات غير الشرعية لتحقيق ذلك وقد لعبت وسائل الإعلام والاتصال باختلافها دور لا يستهان به في ذلك وخاصة أمام رغبة بعض الشباب في الزواج وغياب الوسائل المشروعة لتحقيق ذلك.¹⁶

وبالتالي يمكن لنا القول أن تأخر سن الزواج لا يمكن النظر إليه من منظور واحد، أو أن يفسر على أساس سبب واحد، وإنما تعدد الأسباب وتربطها وتشابكها هو ما يزيد المشكلة تعقيداً، من أسباب خاصة بالفتاة أو المرأة، وأخرى ترجع للآباء والأولياء وأسباب أخرى خاصة بالأسر وطبيعة المجتمعات، ويمكن إجمالها وتصنيفها في أسباب اجتماعية، أسباب نفسية، أسباب اقتصادية، أسباب سياسية، أسباب تربوية، وأسباب ثقافية وفكرية نعددها كما يلي:

أولاً: الأسباب الاجتماعية

وتتمثل في:

- غياب المفهوم الصحيح للزواج كسكن ومودة ورحمة... قبل أن يكون شكليات ومظاهر.
- فقد شاع بين الناس استعمال كلمة الزواج في الارتباط بين الرجل والمرأة على سبيل الدوام والاستقرار بغية الانتناس والتناسل.
- فالأصل في النكاح دون اعتبار لحالة الشخص أنه مندوب وهو مذهب الجمهور، وقال أهل الظاهر بوجوبه، وقال المتأخرون من المالكية هو في حق بعض الناس واجب، وفي حق بعضهم مندوب إليه، وفي حق بعضهم مباح، وذلك بحسب ما يخاف على نفسه من العنت¹⁷.
- غياب دور الأسرة في توعية أبنائها، وتربيتهم على تحمل المسؤولية، وتفهم معنى الزواج، وإعداد أبنائها وبناتها للقيام بهذا الدور.
- فالدكتور نبيل السمالوطي يصف الأسرة بأن لها أهمية كبيرة في حياة أي فرد لأنها المؤسسة الأعرق والأقدم في تاريخ الإنسانية وهي المدخل الوحيد لإشباع الأمور البيولوجية والفطرية مثل الحاجة إلى الأمومة والأبوة، كما أنها العنصر الأساسي لاستمرار ثقافة وتقاليد أي مجتمع¹⁸.
- غياب دور المؤسسات الاجتماعية والهيئات غير الحكومية في محاولة إيجاد حلول عملية واقعية تتناسب مع كل بيئة ومجتمع في مجتمعاتنا.
- الاستسلام والانسياق وراء ما يبثه الإعلام من مفاهيم مغلوطة عن الأسرة والزواج ومتطلباته.
- النهضة العلمية والتكنولوجية التي حصلت في المجتمعات جعلت الشاب والفتاة يستبعدون فكرة الزواج والاستقرار ويفكرون بالعلم والمستقبل وتأمين فرص عمل أفضل.
- فاليوم نرى الشباب محاصر في مجتمعه فهو إما عاطل عن العمل أو من ذوي الدخل الضعيف والقليل لا يكاد يسد له أهم حاجاته الأساسية للحياة وبالتالي يعيش ظروفاً اقتصادية صعبة خاصة مع الارتفاع المتزايد في الأسعار والارتفاع المستمر في مستوى المعيشة دون زيادة مساوية له في دخل وفي المقابل فإنه مطالب بمهور عالية وتوفير المسكن والملبس والمعيشة الكريمة للزوجة التي تنتظر فارس أحلامها ولا تقبل بالقليل واليسير وتحول الكماليات إلى ضروريات مقلدة بما تراه على شاشات التلفاز من مسلسلات وأفلام هذا من جهة.
- ومن جهة أخرى وجود الكثير من البدائل المتاحة للشباب عبر وسائل الاتصالات والأقمار الصناعية والوسائل المرئية عبر التلفاز والانترنت والخلويات والتي تنتشر الفساد والإباحية وتجعل الشباب يفضل ذلك على الزواج والارتباط بمؤسسته وتحمل تبعاته.

ومن الأسباب الاجتماعية أيضا والمؤدية لانتشار ظاهرة تأخر سن الزواج عضل الأولياء للمرأة وعدم تزويجها مع تقدم الكفء لها ورضاها به، وهذا محرم نهى الشرع عنه قال تعالى: (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف)¹⁹

وفي هذا العمل ثلاث جنايات: الجناية الأولى على نفسه بمعصية الله ورسوله، وجناية على المرأة بمنعها من الرجل الكفء الذي رضيته، وجناية على الخاطب بمنعه من حقه، ويحمل الولي على هذا التصرف طمعه في مال البنت أو عداوته للخاطب أو قصد الإضرار بأم البنت، وانتظار تزويج الكبرى لا يسوغ الامتناع من تزويج الصغرى وتقويت الفرصة عليها فكل مكتوب له رزقه.

ومن الأسباب الاجتماعية أيضا، تأجيل أهل المرأة تزويج البنت لأسباب واهية ومبررات غير مقنعة كسن الفتاة وتعليمها أو حصولها على وظيفة، مما يكون سببا لحرمان الفتاة وعنوستها كذلك امتناع بعض الفتيات عن الزواج لمفاهيم خاطئة وأفكار مثالية سعيًا وراء الأمل المنشود وفارس الأحلام، وكل ذلك خيال قل أن يتحقق في الواقع، وكم من فتاة ندمت أشد الندم على فوات شبابها، والواجب على الفتاة عند خطبتها التعقل والمشاورة والاستشارة والموازنة بين المصالح والمفاسد والتركيز على توفر صفة الدين والخلق في الشاب²⁰.

ثانيا: الأسباب الاقتصادية

وهي نوعان:

1. واقعي وحقيقي: يتمثل في الارتفاع الفعلي في تكاليف الزواج خاصة مع ازدياد معدلات البطالة، وعدم وجود فرص عمل حقيقية أمام الشباب، وانخفاض مستوى الدخل خاصة في الدول غير النفطية.

2. خيالي غير حقيقي: وهو سبب صنعناه نحن بأنفسنا، ثم فرضناه كأمر واقع.. وهو المغالاة في المهور واستعدادات الزواج؛ حيث غابت فكرة الأسرة التي تبدأ بحياة بسيطة، ثم تنمو تدريجياً، وتستكمل كل ما ينقص من أساسيات وكماليات مع النمو الطبيعي لدخل الأسرة، ومع مفهوم جميل غاب عنا وهو الصبر واليقين بالله تعالى، وحل محلها مفهوم جديد، وهو البيت الذي يبدأ مستكماً كل أساسيات وكماليات الحياة العصرية، والغريب أن هذا النوع من المشاكل الاقتصادية يكاد يكون متماثلاً بدرجة متساوية في الدول الغنية والدول الفقيرة.

فغلاء المهور جعل الزواج يتعسر أو يتعذر على كثير من الشباب فيتأخر الزواج لذلك، وهذا خلاف ما شرعه الله من تخفيف المهور قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة» رواه أحمد. وتزوجت امرأة بنغلين فأجاز النبي صلى الله عليه وسلم نكاحها، وقال لرجل التمس ولو خاتماً من حديد فالتمس فلم يجد شيئاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم "هل معك شيء من القرآن" قال نعم سورة كذا وكذا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "زوجتكها بما معك من القرآن"، وقال له رجل يارسول الله إني تزوجت امرأة على أربع أواق يعني مئة وستين درهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم "على أربع أواق كأنما تتحتون الفضة من عرض هذا الجبل ما عندنا ما نعطيكم ولكن عسى أن نبعثك في بعث فتصيب منه"

وقال عمر رضي الله عنه: ÷ لا تغلوا صدق النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها رسول الله ﷺ²¹، فالكثير من الناس في مجتمعنا اليوم يغالى في المهور لمقاصد مذمومة إما متاجرة وطلباً للمال أو مفاخرة وطلباً للرياء، أو مجارة للأعراف وإتباعاً لرأى النساء، فعلى الأولياء التيسير في ذلك وعدم إثقال كاهل الزوج وإشغال ذمته بالديون كما يجب على الوجهاء وأعيان المجتمع أن يكونوا القدوة وأن لا يشقوا على إخوانهم الذين لا يستطيعون مجاراتهم في غلاء المهور، أما إذا بذل الزوج المال الكثير وكان موسراً ولم يشق عليه ذلك فلا بأس بذلك، والصحيح أنه لا حد لأقل الصداق أو أكثره في الشرع.

ثالثاً: أسباب سياسية

للأوضاع السياسية داخل كل دولة دور من تهميش الشباب وهدر طاقاتهم، هذه الأوضاع جعلت ردة فعلهم سلبية للغاية فهم لا يريدون المساهمة في بناء مثل هذه المجتمعات مما جعلهم يعزفون عن القراءة وعن المشاركة في الحياة السياسية وعن العمل التطوعي ... وعازفون عن الزواج أيضاً. فمعظم الحكومات لم تأخذ الأمر بجدية، ولم تشعر بحجم المشكلة أو تأثيرها السلبي على المجتمع، وربما توارت المشكلة خلف ركام من المشاكل السياسية الأخرى، وهذا أدى إلى غياب دور أساسي كانت الدولة منوطة به ويشمل:

- توفير فرص عمل حقيقية للشباب.
- تيسير المشروعات الصغيرة.
- تشجيع الشباب المقبل على الزواج المبكر بشقة بأسعار مناسبة ومشاريع توفر لهم احتياجاتهم في حدود طاقاتهم.

كما غاب دور الدولة أيضاً في تشجيع الزواج المبكر والدفع في هذا الاتجاه وهو ما نجده في بعض الدول العربية التي استشعرت خطورة الأزمة مثل الإمارات والكويت؛ وذلك بإنشاء صندوق الزواج. إن ما وصل إليه حالنا وسائر الدول العربية والإسلامية من غياب للقيمة والهدف من حياتنا وحالة الإحباط العامة التي تسود بلادنا جميعاً والخوف دائماً لا بد أن يكون سبباً غير مباشر في عزوف الشباب عن الزواج، وعدم تحمسهم لبدء حياة جديدة كلها أمل وتفاؤل.

رابعاً: أسباب تربوية

فالدراسة بالمدارس تجعل الفتى والفتاة حتى دخول الجامعة ليس لهم همّ إلا النجاح والحصول على أعلى الدرجات، ثم فجأة يجدون أنفسهم في مواجهة الحياة، وقد خلت كل المناهج الدراسية مما يساعد الفتاة على أن تكون زوجة وأما وربة أسرة، لم يحدثها أحد عن معنى الزواج وتبعاته، وكذلك الفتى لم يتعلم معنى المسؤولية، ومعنى أن يكون رب أسرة، ومعنى الرجولة... حتى معنى السعي وتكسب الرزق الحلال غاب عن شبابنا.

خامساً: أسباب ثقافية وفكرية

حيث إن كل ما يساهم في بناء وصياغة فكر وعقل المجتمع إما تجاهل المشكلة تماماً، أو على العكس كان سبباً في تفاقمها، سواء كانت وسائل الإعلام خاصة التلفزيون والصحف والمجلات أو الكتاب والمفكرين،

أو كما ذكرنا طريقة التربية في المدارس وفي داخل الأسرة نفسها. ولكن أعجب من تجاهل المشكلة هم علماء الدين والفقهاء.. فقد خلت الخطب والدروس الدينية من تناول للظاهرة وأسبابها وطرق العلاج، بالرغم من أننا كشعب من الشعوب الإسلامية عندما نتضح أمامنا الأبعاد الدينية للمشكلة تختلف طريقة تعاملنا معها؟ والواقع أن غياب البعد الديني ساهم كثيرا في تفاقم المشكلة، والمقصود هنا النظرة الدينية الواعية التي تهتم بدراسة الأرقام والإحصاءات وكل ما يعترى المجتمع الآن من تغيرات واتجاهات، وليست مجرد مجموعة من الفتاوى المتفرقة الجامعة التي لا تتفاعل مع المجتمع.

سادسا: أسباب نفسية

وهذه جاءت نتيجة لتفاعل كل الأسباب السابقة... فمنذ 20 سنة كانت كل الأفلام - التي كما هي عامل مؤثر في ثقافة الشعوب هي أيضا نافذة تعبر عما يجري داخل هذا المجتمع- تعبر عن قصص النجاح والحب الذي يتحدى العقبات وينتصر، الشاب والفتاة اللذان يحلمان بأن يبدأ حياتهما بأبسط الإمكانيات ليكبرا مع الأيام. أما اليوم فهذا الجيل منهزم من داخله لم يحاول أن يتحدى العقبات ويهزمها، ولكنه هرب من المواجهة؛ فالخوف من المستقبل وعدم تحمل المسؤولية والتمسك بل التقيد بكل أسباب الرفاهية والكماليات... كل هذا هزم روح التحدي داخلنا، وكأن كل ما مر بنا من يأس وانهزام على كافة الأصعدة قد انتقل إلى داخلنا. ونجد اليوم أيضا فئة من الشباب ممن فقدوا الثقة بأنفسهم ولم يتعودوا حمل المسؤولية ولا يريدون أن يخطروا بذلك فالزواج مسؤولية وارتباط ومتطلبات وواجبات.

يقول الدكتور خليل فاضل، استشاري الطب النفسي أن العامل النفسي يعتبر أهم العوامل المسببة لظاهرة العزوف عن الزواج، فأبناء حالات الطلاق لديهم خوف من الارتباط وميل للانفصال، بالإضافة إلى زيادة معدلات الاضطرابات النفسية وتفضيل استبدال الزواج باللعب والإدمان في حالة ما إذا كانت حالتهم المادية ميسرة خصوصا مع الحرية المتاحة حاليا، والتي قد تصل لإقامة علاقات كاملة من دون التزام وزواج. ومن أكبر الأسباب النفسية المؤدية إلى تأخر الزواج ارتباط بعض الشباب بعلاقات غير شرعية والجري وراء الشهوات المحرمة والاعتزاز بسراب الحب الكاذب وهذا من أعظم الفتن وأكثر الظواهر المنتشرة حديثا في مجتمعنا.

في الأخير يمكن لنا القول إن مشكلة العزوف عن الزواج مشكلة لن تحل بمقالة ولا بسطور فهي ناتجة عن عديد من المشاكل التربوية والاقتصادية والاجتماعية التي ترسخت في مجتمعتنا فعلى كل أب وأم وأخ وأخت تيسير أمور الزواج والعودة إلى شرعنا الإسلامي الذي يحث على الزواج ويرغب فيه ويحث على تقليل المهور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه». وقال مخاطبا الشاب المسلم: «فعليك بذات الدين تربت يداك» .

- ¹ - عبد السلام الترماني: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة، سلسلة عالم المعرفة، عدد 80، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، شعبان 1998، ص 09.
- ² - سورة النساء: الآية 1.
- ³ - سورة النحل: الآية 72.
- ⁴ - أبي حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2005، ص ص 34-35.
- ⁵ - فهد بن محمد علي الغزالي: أسباب .. تأخر سن الزواج!!، مجلة الندوة، عدد 626، 11 مارس 2010، من موقع: <http://www.alnadwah.com.sa/index.cfm?> ، 2010/03/12، 18 h:30.
- ⁶ - سهام شباط: تأخر سن الزواج "العنوسة" .. أسبابها وعلاجها، مجلة الباحثون علمية فكرية ثقافية، عدد 32، 02/فيفري/2010، من موقع: <http://www.albahethon.com>، 2010/03/12، 20 h:20 .
- ⁷ - آمال بن عيسى: ظاهرة العنوسة في الجزائر، ملخص رسالة ماجستير، إشراف: جمال معتوق، جامعة البليدة الجزائر، أكتوبر 2008، في: مجلة العلوم الاجتماعية، من موقع: www.swmsa.net.
- ⁸ - ons, Quelque statistique et indicateurs sociaux ,Avril,2006
- ⁹ - طاهر محمد بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري(1967-1999) دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي، الجزائر، دار بن مرابط، 2008، ص 115.
- ¹⁰ -Ministère de la Santé de la Population et de la Reforme Hospitalière, **Population et développement en Algérie**, CIPED10Rapport Nation, Alger, Décembre (2003),p17.
- ¹¹ - طاهر محمد بوشلوش: مرجع سبق ذكره، ص 115.
- ¹² - احمد زكي بدوي، معجم مصطلح العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978.
- ¹³ - عادل بغزة: أسباب تأخر سن الزواج في الجزائر وأثره على الخصوبة دراسة مقارنة بين المسح الجزائري حول صحة الأم والطفل والمسح الجزائري حول الأسرة، دراسة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الديمغرافيا، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر، 2008-2009، ص 04.
- ¹⁴ -Michel Blanc: **Initiation aux problème familiaux chroniques et sociaux**, France (sans date), p147.

¹⁵ - من موقع: www.amrkhaled.net.

¹⁶ - آمال بن عيسى: مرجع سبق ذكره.

¹⁷ - عبد القادر بن حرز الله: الخلاصة في أحكام الزواج والطلاق، الجزائر، دار الخلدونية، 2007، ص 27.

¹⁸ - من موقع: <http://futuremovement.org>، 2010/03/13، h90: 00.

¹⁹ - سورة البقرة: الآية 232.

²⁰ - خالد بن سعود البليهد: تأخر سن الزواج، الجمعية العلمية السعودية للسنة، 2007/02/07، من موقع:

<http://www.alameron.com/762.html>

²¹ - رواه الخمسة وصححه الترمذي.